

السؤال

قبل سنة قررت أن أقرأ القرآن قراءة فهم وتدبر ، لا قراءة تلاوة فقط ، مثلما كنت أفعل ، فسجلت الآيات التي أشكلت علي ، وبحثت عن تفاسيرها حتى فهمت ، ولكن عندي القليل من المشاكل التي صادفتني ، وأريد أن أطرح واحدة منها : (الإضمار) : وهناك مواضع عدّ فيها الطبري الكثير من الآيات التي فيها إضمار ، وفهمت أنها من أساليب العرب ، ولكن ما لم أفهمه هو إضمار كلمة (قل) عند مخاطبة الله تعالى لسيدنا محمد . مثل : قوله تعالى : (قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ۚ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) الأنعام /104 . فمن الواضح أن الخطاب انتقل مباشرةً من الله للناس ، أو أن يكون الخطاب من أوله من رسول الله لإضمار كل قل يا محمد . وقوله تعالى : (أَفَغَيْرَ اللَّهِ أُبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) الأنعام/114 . وقال تعالى : (إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۚ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) الأعراف /196 . وقال تعالى : (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۚ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) النمل/91 . والآية 50 ، 51 من سورة الذاريات ، فقليلو العلم والجهلة ربما يستغلون مثل هذه الآيات ليقدموا بكتاب ربي ، فما هو توضيح ما ذكرت .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

ما أجمل أن يتأمل المسلم كلام ربه تعالى ، فإن أشكل عليه أمر رده إلى العالم به ، فإن في ذلك خيرا كبيرا ، وفائدة عظيمة . والقرآن بحمد لله لا يتطرق إليه الاختلاف بحال ، كما قال سبحانه : **أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا النساء/82** .

ثانياً :

من عادات القرآن الأسلوبية ، وطريقته المعهودة الجارية على سنن العرب في الكلام حذف ما دل عليه الظاهر ، لأنه يصير حينئذٍ حشواً لا حاجة إليه ، إلا إن كان لإظهاره فائدة أخرى من الفوائد البلاغة . يقول الطبري : " العرب ، من شأنها إذا عرفت مكان الكلمة ، ولم تشك أن سامعها يعرف بما أظهرت من منطقتها ، ما حذف : حذف ما كفى منه الظاهر من منطقتها ، ولا سيما إن كانت تلك الكلمة التي حذف قولاً ، أو تأويل قول " ، انتهى من "جامع

البيان" (137 /1).

قال أبو عبيدة في "مجاز القرآن" (111 /1): "العرب تختصر الكلام ليخففوه ؛ لعلم المستمع بتمامه" انتهى .

وانظر للاستزادة : "الأساليب العربية الواردة في القرآن" (517 – 526)، "عادات القرآن الأسلوبية" (219 /1).

قال "السمين الحلبي" في "الدر المصون" (370 /1) : "وإضمارُ القولِ : كثيرٌ في لسانهم" ، انتهى .

والمفسرون ينبهون على ذلك ، ومنه قول "الواحدي" : "ومن كَسَرَ، أضمِرَ القولُ؛ كأنه: ناداه، فقال: إنَّ الله) فحذف القولَ.

وإضمار القول كثير في هذا النحو، كما قال: **وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ [الرعد:23 – 24]**، **وَالْمَلَائِكَةُ بِأَسْطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا [الأنعام:93]**، **فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ [آل عمران:106]**، فأضمر القول في ذلك كله ، انتهى من "التفسير البسيط" (221 /5).

وقال : "وإضمار القول كثير كقوله تعالى: **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا [البقرة:127]** أي: يقولان: ربنا، وقوله تعالى: **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ [الزمر:3]** معناه: يقولون ما نعبدهم" ، انتهى من "التفسير البسيط" (8 /246).

وقول "أبي حيان" : " ... والخبر هنا محذوف للعلم به. والتقدير: فيقال لهم: أكفرتم؟

كما حذف القول في مواضع كثيرة ، كقوله: (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم) الرعد ، أي يقولون: سلام عليكم " انتهى من "البحر المحيط" (293 /3).

والله أعلم.